آليات التكيّف البيئي في المساكن التقليدية بالقصور الصحراوية الجزائرية:

دراسة مقارنة للتنظيم الفضائي وتقنيات البناء بقصر واكدة

Environmental Adaptation Mechanisms in Traditional Dwellings of Algerian Saharan Ksour: A Comparative Study of Spatial Organization and Construction Techniques in Waqda Ksar

نادية بن عيسى[1] *، مريم بقدور[2]

[1]جامعة طاهري محمد، بشار(الجزائر)، مخبر الدراسات الإنسانية و الاجتماعية، البريد الالكتروني benaissa.Nadia@univ-bechar.dz

[2] جامعة طاهري محمد، بشار(الجزائر)، مخبر الدراسات الإنسانية و الاجتماعية، البريد الالكتروني meryem.bekaddour@univ-bechar.dz

Benaissa Nadia[1], Bekaddour Meryem[2]

[1] University Tahri Mohammed, Bechar(Algeria), Laboratoire des Études Humaines et Sociales, benaissa.Nadia@univ-bechar.dz

[2]University Tahri Mohammed, Bechar(Algeria), Laboratoire des Études Humaines et Sociales, meryem.bekaddour@univ-bechar.dz

تاريخ الاستلام:2026/05/20 تاريخ القبول:2026/07/13 تاريخ النشر:2026/07/31

ملخص: تُعدُّ البيوت التقليدية في قصر واكدة ببشار أحد أبرز النماذج المعمارية التقليدية في الصحراء الجزائرية، حيث يظهر التوافق بين التصميم المعماري والبيئة الصحراوية. يهدف هذا المقال إلى دراسة معمارية مقارنة لنموذجين من هذه البيوت: دار أولاد الغازي ودار أولاد مامون، وذلك من خلال تحليل معمق لمواد وتقنيات البناء، والتنظيم الفضائي، ووظائف الفضاءات الداخلية، مع التركيز على مدى توافق هذه العناصر مع متطلبات البيئة الصحراوية والمقومات الثقافية للمجتمع المحلي. تعتمد الدراسة منهجًا عمرانيًا ومعماريًا يربط بين الخصائص الفيزيائية للمباني وظروف البيئة القاسية من جهة، والمقومات الثقافية والاجتماعية للمجتمع المحلي من جهة أخرى.وتبرز النتائج كيف تُجسد هذه المساكن مبادئ الاستدامة عبر استخدام المواد المحلية، وتحقيق الراحة الحرارية، وضمان الخصوصية، وتنظيم الفضاءات بما ينسجم مع نمط الحياة التقليدي. كما تؤكد الدراسة على أهمية هذا التراث المعماري كمرجعية حضارية يمكن الاستلهام منها في بناء معماري معاصر يحافظ على الهوية ويستجيب لمتطلبات الاستدامة.

الكلمات المفتاحية: قصر واكدة، بيوت تقليدية، مواد بناء، تقنيات بناء، تخطيط معماري

Abstract: Qsar Ouakda in Béchar stands as a significant example of traditional Saharan architecture in Algeria, showcasing a deep harmony between built form and desert environment. This study explores two residential models within the settlement—Ouled El Ghazi and Ouled Mamoun houses—through a detailed examination of construction materials, techniques, and architectural planning. The analysis highlights how these homes adapt to harsh desert conditions, including extreme temperatures and water scarcity, using locally sourced materials and passive design strategies for ventilation and insulation. In addition, the study investigates the spatial organization and social functions of interior spaces, revealing how traditional domestic architecture reflects the cultural values and lifestyle of the community. By comparing these two models, the article aims to shed light on the sustainable principles inherent in vernacular architecture and its role in fostering resilience and cohesion within desert societies.

Keywords: (Qsar Ouakda; Traditional Houses; Building Materials; Architectural Planning; Building Techniques)

* المؤلف المرسل.

1- مقدمة

تُعد القصور الصحراوية في الجنوب الجزائري من أبرز النماذج العمرانية التي تعكس تفاعل الإنسان مع بيئته الطبيعية والاجتماعية، حيث شكّلت عبر التاريخ أنماطًا معمارية متكيفة مع الخصائص المناخية القاسية، ومعبرة في الوقت ذاته عن البنية الثقافية والتنظيم الاجتماعي للمجتمعات المحلية. ويُعتبر قصر واكدة، الواقع بمدينة بشار، نموذجًا متميزًا لهذا التراث، لما يتميز به من تنوع في أنماط السكن التقليدي، ووظائفه الدفاعية والاجتماعية والدينية.

ورغم الأهمية المعمارية والثقافية لهذه القصور، فإن الدراسات المتخصصة التي تناولت السكن التقليدي داخلها، خاصة على مستوى التحليل المقارن للعناصر الفضائية والوظيفية، لا تزال محدودة، كما يلاحظ ضعف في ربط هذه الدراسات بإشكاليات التثمين وإعادة الإدماج ضمن استراتيجيات التنمية الثقافية والسياحية المستدامة. وهو ما يكشف عن فجوة بحثية تتعلق بغياب مقاربات تحليلية تجمع بين التوثيق المعماري الدقيق وفهم الأبعاد التنموية لهذا التراث.

في هذا السياق، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل نموذجين من السكن التقليدي داخل قصر واكدة، وهما منزل أولاد الغازي ومنزل أولاد مامون، باعتبارهما مثالين يعكسان تنوع التنظيم الداخلي وارتباطه بأنماط العيش المحلية. كما تسعى إلى إبراز الخصائص المعمارية والوظيفية لهذين النموذجين، مع مقارنتهما لفهم منطق التوزيع الفضائي، وآليات التكيف المناخي، وانعكاس البنية الاجتماعية على تصميم الفضاء.

وتتجاوز الدراسة الوصف المعماري نحو استكشاف إمكانيات تثمين هذا النمط السكني، من خلال تحليل قابليته للإدماج في مسارات التنمية الثقافية والسياحية المستدامة، بما يسهم في الحفاظ على هذا التراث وتعزيز دوره في التنمية المحلية.

وانطلاقًا من ذلك، تُطرح الإشكالية التالية:

كيف يُجسّد كل من منزل أولاد الغازي ومنزل أولاد مامون بقصر واكدة التفاعل بين العمارة التقليدية والبيئة الصحراوية من حيث التخطيط والمواد والوظائف الاجتماعية، وما مدى إمكانية توظيف هذه الخصائص في إطار استراتيجيات التثمين والتنمية الثقافية والسياحية المستدامة؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية، اعتمدت الدراسة على منهج وصفي تحليلي يجمع بين المعاينة الميدانية، والرفع المعماري، والتوثيق البصري، إلى جانب إجراء مقابلات مع السكان المحليين، بما يسمح بجمع معطيات دقيقة حول استخدامات الفضاءات وتحولاتها. كما تم اعتماد المقارنة بين النموذجين المدروسين وفق معايير تتعلق بالتنظيم الفضائي، والوظائف، وعناصر التكيف المناخي.

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم قراءة معمارية نقدية تسهم في فهم خصوصيات العلاقة بين التنظيم الفضائي والبيئة الصحراوية والبنية الاجتماعية.

كما تسعى إلى إبراز آليات التكيف المناخي، وإجراء مقارنة بين النموذجين، مع إمكانيات تثمين هذا التراث وإدماجه في إطار التنمية الثقافية والسياحية المستدامة.

2- الإطار النظري والدراسات السابقة:

تُعدّ العمارة الطينية أحد أبرز أنماط البناء التقليدي التي تعكس قدرة الإنسان على التكيّف مع بيئته المحلية، خاصة في المناطق الجافة وشبه الجافة، حيث تشكّل استجابة ذكية للظروف المناخية والموارد المتاحة. وفي هذا السياق، يرى حسن فتحي أن العمارة التقليدية لا تمثل مجرد ممارسة بنائية، بل تُجسّد منظومة معرفية متكاملة قائمة على التفاعل بين الإنسان والمناخ والمواد المحلية، إذ تتيح المواد الطينية تحقيق أداء حراري طبيعي يضمن الراحة المناخية بأقل استهلاك للطاقة(Hassan, 1973)

وفي الاتجاه نفسه، يؤكد Paul Oliver أن العمارة الشعبية تعبّر عن الهوية الثقافية للمجتمعات، وأن قيمتها لا تقتصر على بعدها المادي، بل تمتد لتشمل كونها نتاجًا لتراكم خبرات تاريخية في التكيف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية (Oliver, 2006). ومن هذا المنظور، يتجاوز فهم العمارة التقليدية حدود الشكل إلى تحليلها كنسق ثقافي-بيئي متكامل.

وقد شهد مفهوم التراث المعماري تحوّلًا نوعيًا ضمن الأدبيات الدولية، حيث انتقل من مقاربة حفظية تركز على الصون المادي، كما تجلّى في ميثاق البندقية، إلى مقاربة أكثر شمولًا تربط بين التراث والتنمية، خاصة مع توجهات منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، لاسيما من خلال اتفاقية التراث العالمي وتوصية المشهد الحضري التاريخي، التي وسّعت مفهوم التراث ليشمل الأبعاد غير المادية.(UNESCO, 2003)

وفي هذا الإطار، تندرج مبادئ المجلس الدولي للمعالم والمواقع (إيكوموس) –اللجنة العلمية الدولية للمناظر الريفية (إيفال) بشأن المشاهد الريفية بوصفها تراثًا (2017) ضمن هذا التحول المفاهيمي، حيث تؤكد أن الحفاظ على التراث ينبغي أن يتجاوز البعد المادي ليشمل الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية، من خلال إدماجه في حياة المجتمعات المحلية بدل عزله عنها. كما تبرز هذه المبادئ أهمية توظيف التراث كرافعة للتنمية المستدامة ضمن رؤية شمولية متوازنة (ICOMOS–IFLA, 2017).

غير أن هذا التحول من المقاربة الحِفظية إلى المقاربة التنموية التشاركية يطرح تحديات تطبيقية، لاسيما في السياقات المحلية التي تعاني من هشاشة اقتصادية وضغوط عمرانية متزايدة، حيث يصبح تحقيق التوازن بين متطلبات الحماية وأهداف التنمية أمرًا معقدًا. ومن ثم، فإن فعالية هذه التوجهات تظل رهينة بمدى تكييفها مع الخصوصيات المحلية، واعتماد مقاربات تشاركية تُشرك الفاعلين المحليين بوصفهم عنصرًا أساسيًا في إنتاج واستدامة التراث.

رغم تعدد الدراسات التي تناولت العمارة الطينية والقصور الصحراوية من زوايا معمارية وبيئية وثقافية، إضافة إلى الإسهامات النظرية التي ركزت على مفاهيم التنمية المستدامة وإعادة التأهيل التكيفي، فإن هذه الدراسات ما تزال تعالج هذه القضايا بشكل منفصل في أغلب الأحيان، دون تحقيق تكامل منهجي بينها. كما أن الربط بين القيم التراثية للأنسجة السكنية التقليدية وآليات إدماجها ضمن استراتيجيات التنمية المحلية المستدامة لا يزال محدودًا، خاصة في السياق الجزائري. ومن هنا، تتجلى الفجوة البحثية في غياب دراسات تطبيقية متكاملة تُعنى بكيفية توظيف مساكن القصور الصحراوية، مثل قصر واكدة، ضمن مقاربة شمولية توازن بين الحفاظ على الأصالة المعمارية من جهة، وتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية والبيئية من جهة أخرى.

3- الإطار الجغرافي والتاريخي لقصر واكدة:

يقع قصر واكدة ضمن النطاق الواحي الصحراوي لمنطقة الساورة، التي تُعدّ من أبرز الأقاليم الجغرافية في الجنوب الغربي الجزائري، لما تتميز به من تنوع بيئي ومعماري وتاريخي. يتموضع القصر العتيق في الملحقة الإدارية واكدة التابعة لبلدية بشار، ويبعد عن مركز المدينة بحوالي 6 كيلومترات في الاتجاه الشمالي الشرقي، على الجانب الأيسر من الطريق الوطني رقم 06، بمحاذاة الضفة اليسرى لوادي بشار. كما يفصل بينه وبين موقع كولومب بشار مسافة تقدّر بـــ 4 كيلومترات تقريبًا (ينظر الخريطة رقم 01).

في هذا السياق، كتب الرحالة الحجاج المغاربة في رحلاتهم الحجية، كما وثّقه بعض الجغرافيين والمؤرخين، مثل الحسن بن محمد الوزان الفاسي المعروف بـــ"ليون الإفريقي "Jean- Léon L'Africain في كتابه وصف إفريقيا كالتالي:

(واكدة اقليم بعيد عن سلجماسة بنحو 70 ميلا الى الجنوب[1]، فيه ثلاثة قصور كبيرة[2]وقرى عديدة، كلها على واد قير لا ينبت فيه إلاّ القليل من القمح لكن تمره كثير يرسل السكان بضائعهم إلى بلاد السودان وكلهم خاضعون للأعراب) (الوزان، 1983، صفحة 132).

تُظهر البنية المجالية للقصر تكيّفًا واضحًا مع البيئة الطبيعية المحيطة، حيث تم اختيار موقعه بدقة لتأمين الحماية من الفيضانات والعواصف الرملية، إضافة إلى قربه من مصادر المياه الجوفية وواحات النخيل التي تشكّل عصب الحياة الاقتصادية للسكان المحليين.

يُعدّ قصر واكدة من بين أقدم التجمعات العمرانية في منطقة الساورة، ويعود تاريخه إلى ما قبل القرن الثالث عشر الميلادي، حيث سكنه آنذاك ما يقارب 400 نسمة من أصول أمازيغية (بربرية). وقد تأسس القصر ضمن سياق الاستقرار الزراعي الذي شهدته المنطقة مع التحوّل من الحياة الرعوية إلى النمط الواحي، ما مكّن من بروز نواة عمرانية ذات طابع اجتماعي ودفاعي متكامل (ROBERT, 1936, p. 04)

كما يُعرف سكان واكدة، المنحدرون من العرق البربري، بخبرتهم الواسعة في البستنة، إذ يمارسونها بحماس ويتميّزون بقوّة بدنية لافتة. يعتمدون بشكل شبه كامل على ثمار جهدهم في تأمين معيشتهم، حيث يشكل الإنتاج الزراعي أساس غذائهم، والذي يغلب عليه الطابع النّباتي، إلى جانب الاستفادة من موارد قطعانهم ومزارعهم. (A.Gatanei, Décembre 1924, p. P.489)

وقد شهد القصر تطورًا عمرانيًا واجتماعيًا على مدى القرون، خاصة في ظل ارتباطه بالطرق القوافل القديمة التي كانت تمر عبر الجنوب الغربي نحو الشمال الجزائري، ما جعله نقطة عبور للتجارة والمعرفة والثقافة. كما أسهمت العائلات الكبرى، مثل أولاد الغازي وأولاد مامون، في تعزيز النسيج الاجتماعي والاقتصادي للمكان، من خلال أنشطة الزراعة والتخزين والتنظيم المجتمعي.

4- الخصائص المعمارية العامة لقصر واكدة:

يتميّز قصر واكدة بطابع عمراني تقليدي يعكس روح العمارة الصحراوية في منطقة الساورة، حيث تتجلى فيه مبادئ التكيّف مع المناخ الجاف، والانسجام مع الطبيعة الطبوغرافية، إلى جانب استيعاب الحاجات الاجتماعية والثقافية للمجتمع المحلي.

وقد شُيّد القصر باستخدام مواد بناء محلية، كالطين، والحجر، والخشب (خصوصًا جذوع النخيل)، وهي عناصر ساهمت في تعزيز عزله الحراري، والحفاظ على استقراره البنيوي في مواجهة الظروف المناخية القاسية.

يتكوّن النسيج العمراني للقصر من شبكة عضوية من الممرات والأزقة الضيقة والمتعرجة، ذات طابع دفاعي وظيفي تعمل الشوارع بشكلها الضيق والمتعرج، على كسر شدة التيارات الهوائية، الباردة شتاءًا والحارة صيفًا (**الدين، 2015، صفحة 212**)، وبذلك يحدّ من حركة الرياح المحمّلة بالرمال ويعزز الخصوصية داخل الحي السكني. كما ترتبط المباني ببعضها عبر فراغات شبه خاصة كالسقائف والمداخل المنكسرة، وهي عناصر وظيفية تُسهم في التحكم بالضوء والحرارة والتهوية، بما يحقق التوازن البيئي داخل الفضاء المعماري.

وتتميز واجهات المباني بطابعها البسيط الخالي من الزخارف، مع الاعتماد على الارتفاعات المنخفضة، ما يمنح القصر مظهرًا متجانسًا يوحي بالتواضع والخصوصية. كما تتفاوت خصائص المساكن من حيث المساحة وعدد الطوابق وفقًا للوضعية الاجتماعية والاقتصادية لسكانها، مما أفرز تنوعًا وظيفيًا في التكوين الداخلي للمنازل بين مساكن بسيطة تتكون من طابق واحد وأخرى أكثر تعقيدًا تتضمن طوابق متعددة وفناءات داخلية.

يعكس القصر من خلال مكوناته المعمارية نمط حياة جماعي، حيث يشكل الفناء (أو الحوش) نواة الفضاء المنزلي، وتُوزع حوله الغرف حسب الوظيفة والاستخدام (نوم، ضيافة، تخزين، طبخ...).

كما تحضر عناصر معمارية محلية مثل "عين الدار" (فتحة الإضاءة العلوية) و"الخبية" (غرف التخزين المبردة) كحلول وظيفية بُنيت على الخبرة المحلية المتوارثة.

بهذا، يُعد قصر واكدة مثالًا حيًا على تفاعل الإنسان الصحراوي مع محيطه البيئي والاجتماعي، وتُجسّد خصائصه المعمارية الهوية الثقافية المحلية في إطار من البساطة والفعالية الوظيفية.

5- العلاقة بين العمارة التقليدية والتأثيرات الثقافية والاجتماعية في المجتمع الصحراوي

عكس العمارة التقليدية في القصور الصحراوية – وعلى رأسها قصر واكدة – علاقة عضوية بين البناء والمجتمع، حيث تتجسّد في الممارسات المعمارية مجموعة من القيم الثقافية والاجتماعية الراسخة في البيئة الصحراوية.

فقد جاء الشكل المعماري استجابة للخصوصيات الاجتماعية التي تميّز الأسرة والمجتمع المحلي، مثل احترام الخصوصية، وتوزيع الأدوار بين الجنسين، والضيافة، والتعاون الجماعي، وهي كلها مفاهيم تجد صداها في طريقة توزيع الفضاءات، وأنماط الاستخدام، وعلاقات الجوار.

يُترجم هذا البعد الثقافي والاجتماعي في التخطيط الداخلي للمساكن، من خلال الفصل بين الفضاءات العامة والخاصة، حيث تُخصّص غرف استقبال منفصلة للرجال والنساء، وتُوجّه المداخل بطريقة تُقلّل من كشف الفناء الداخلي، ما يضمن خصوصية العائلة. كما تعكس الفناءات الداخلية المركزية – التي تُحيط بها الغرف – نموذجًا للتنظيم الأسري الذي يربط بين أفراد العائلة الممتدة حول محور مشترك.

أما من الناحية الاجتماعية، فالبناء المتراص والمتلاصق للمنازل داخل القصر يعكس طبيعة المجتمعات الصحراوية القائمة على التماسك الاجتماعي والتكافل، كما أن وجود فضاءات مشتركة كالساحات، والمساجد، والمخازن الجماعية، يدل على بنية جماعية تحكمها الأعراف وتدعم روح التضامن بين السكان.

وتُعد الزخارف المعمارية البسيطة، والأبواب الخشبية المزخرفة (**الجواد، 1969، صفحة 251**)، والعناصر الرمزية الأخرى امتدادًا لتقاليد محلية تُجسّد الهوية والانتماء، وتُعبّر عن الرؤى الجمالية والمعنوية التي يحملها المجتمع تجاه المكان.

في المجمل، لا يمكن فهم العمارة التقليدية في القصور الصحراوية، بما فيها قصر واكدة، بمعزل عن السياقات الثقافية والاجتماعية التي نشأت فيها، فهي ليست مجرد استجابة لمتغيرات مناخية أو مادية، بل هي تعبير حيّ عن منظومة متكاملة من القيم والتقاليد والأنماط الحياة الراسخة في الذاكرة الجماعية للمجتمع الصحراوي.

6- المنزل التقليدي في قصر واكدة:

يعتبر المنزل المكان الذي يختار فيه الأفراد الإقامة ويعتبر مسكنًا لهم، حيث يتوفر فيه الأمان والراحة، سواء كان هذا المسكن خيمة لدى البدو أو بيتًا من الحجر أو الخشب أو القرميد في المناطق الحضرية. يهدف البيت إلى توفير الحماية والمأوى لمجموعة من الأفراد الذين يقيمون فيه، ليجدوا فيه الراحة والسكينة، ويتوافر فيه احتياجات النوم والاستقرار.

في قصر واكدة، الذي يحتوي على أربعين منزلًا وفقًا للبطاقة التقنية التي أعدّتها مديرية الثقافة لولاية بشار، تتوزع هذه المنازل بطريقة تعكس التنظيم التقليدي للقصور الصحراوية، حيث تتناغم مع المحاور العمرانية الرئيسية مثل الشوارع المكشوفة والمغطاة، والساحة المركزية (الرحبة)، والمسجد.

على الرغم من بعض العيوب التي قد تجعل المنزل غير مناسب في فصل الشتاء، حيث تتعرض بعض مرافقه للبرد والرياح، فإن البيت التقليدي في قصر واكدة يوفر الراحة لساكنيه في فصل الصيف، الذي يتميز بحرارته الشديدة. فقد اعتمد تصميم المنزل على التقاليد العائلية والاجتماعية التي تنظم توزيع الفضاءات الداخلية، مع مراعاة توفير الراحة ضمن المساحة المحدودة.

5-1- المميزات المعمارية للمنزل التقليدي في قصر واكدة: يتّسم المنزل التقليدي في قصر واكدة بعدد من الخصائص المعمارية التي تعكس روح البيئة الصحراوية وثقافة المجتمع المحلي، ويمكن تلخيص هذه المميزات كما يلي:

- ✓ وسط الدار :يشكل ساحة مركزية داخل البيت، حيث يجلس أهل المترل في معظم أيام السنة، وتعد هذه الساحة المكان الذي يمارس فيه أفراد العائلة أنشطتهم اليومية مثل تناول الطعام والعمل، كما تُقام فيها الاحتفالات والمناسبات الاجتماعية مثل حفلات الختان.
- ✓ خصوصية الأبواب :يتم تصميم الأبواب بحيث لا تواجه بعضها البعض، مما يضمن الخصوصية ويقلل من التداخل بين الغرف.
- ✓ حجم النوافذ :تتميز المنازل بصغر حجم النوافذ التي تساهم في الحفاظ على البرودة داخل الغرف في الصيف، وتوفير الدفء في الشتاء.
- ✓ ارتفاع الجدران :يتم زيادة ارتفاع الجدران فوق سطح المترل، وذلك لضمان خصوصية سكان المترل وحمايتهم أثناء النوم.
- ✓ وجود البئر :يعد البئر مصدراً مهماً للمياه داخل المترل، حيث يتم استخدامه في جميع الأنشطة اليومية.
- ✓ فتحات التهوية الجدارية (البادجير) :توفر هذه الفتحات التهوية اللازمة لبعض الغرف داخل المترل، مما يساعد في توفير الراحة الحرارية.

5-2- تخطيط المترل: تتجلى خصوصية المساكن الصحراوية في المزج المتناغم بين البعد الديني والاعتبارات البيئية، حيث تتسم بتصاميم بسيطة تراعي الانسجام والتكامل بين العناصر المعمارية. ويظهر ذلك من خلال تلاصق المباني وترابطها، ما يضفي عليها طابعًا دفاعيًا موحدًا. كما أن استخدام المواد المحلية المقاومة لعوامل المناخ ساهم في ضبط ارتفاع المباني، بما يتماشى مع إمكانيات البيئة. وقد انعكست القيم الدينية في احترام الجوار والاقتصاد في استخدام الموارد، إذ كانت الشريعة تُوجب عدم التعدي على حقوق الآخرين، ومنها عدم تجاوز ارتفاع مترل على مترل آخر حفاظًا على الضوء والتهوية، مما يعكس البعد الأخلاقي والاجتماعي في تخطيط هذا النوع من السكن (تمادىكشت، 2014، صفحة 310).

الطابق الأرضي :يشمل مجموعة متنوعة من الغرف التي تختلف في حجمها وشكلها، حيث تتوزع الغرف بناءً على الوظيفة الاجتماعية والعائلية. فبعض الغرف مخصصة لتخزين المؤن والمحاصيل الزراعية مثل التمور والحبوب، وأخرى لتخزين العلف الحيواني. كما يلاحظ أن الطابق الأرضي يحتوي على مكان مخصص للراحة، في حين أن الفناء المركزي أو "الحوش" يعتبر المكان الذي يتجمع فيه أفراد العائلة.

الطابق الأول :يضم عادةً غرفًا مخصصة للاستقبال والتي تُعدّ أكبر حجماً مقارنة بالغرف الأخرى. يختلف شكل هذه الغرف لتلبية احتياجات الضيوف مع مراعاة الراحة والخصوصية. في كثير من الحالات، يوجد أيضًا مطبخ في هذا الطابق، حيث يتم تحضير الطعام، وهو من العناصر الأساسية في الحياة اليومية في القصر.

الطابق العلوي :يتسم الطابق العلوي بتصميم بسيط لكنه عملي. يُخصص عادةً للنوم، حيث تضم الغرف المسقوفة بسقف مرتفع العديد من الأسرة لتناسب العائلة بأكملها. في الليل، يساعد ارتفاع الغرف على توفير الراحة للساكنين، حيث تتيح التهوية الجيدة وتوازن درجات الحرارة بين البرودة والحرارة. بالإضافة إلى ذلك، يُستخدم السطح في النهار لتجفيف الملابس أو الحبوب.

5-3- طراز المعماري للبيت التقليدي: يُعد الطراز المعماري للمنازل في قصر واكدة انعكاسًا للاحتياجات العملية والبيئية للمجتمع الصحراوي، إذ لا تُستخدم المواد المحلية في البناء لأغراض جمالية فقط، بل تؤدي دورًا وظيفيًا مهمًا من خلال توفير عزل حراري طبيعي يتلاءم مع الظروف المناخية القاسية التي تميز البيئة الصحراوية.

المواد البناء: تتمثل المواد الاساسية المستخدمة في البناء في الطين اللبن والجص، وهما يوفّران العزل الجيد ضد الحرارة المرتفعة في الصيف وبرودة الليل في الشتاء. كما يستخدم السكان بعض المواد المستدامة مثل الخشب في الأبواب والنوافذ، مما يعكس الطبيعة التكيفية للمجتمع الصحراوي مع محيطه البيئي.

الأسطح والجدران :تمتاز أسطح المنازل في قصر واكدة بتصميماتها المسطحة، مما يجعلها مناسبة لاستخدام السطح لتجفيف الحبوب والملابس. هذا السطح يعتبر مساحة متعددة الوظائف تُساهم في تكيف المترل مع احتياجات السكان. أما الجدران، فهي عالية وموحدة لخلق إحساس بالخصوصية، حيث لا يسمح ارتفاع الجدران للجيران بالتطفل على حياة الأسرة.

النوافذ والأبواب :تتسم النوافذ بصغر حجمها، وهو ما يساهم في الحد من تسرب أشعة الشمس إلى الداخل خلال فصل الصيف، مع الحفاظ في الوقت ذاته على قدر مناسب من الإضاءة الطبيعية داخل الغرف. أما الأبواب، فيتم تصميمها بما يتلاءم مع الخصائص المناخية والثقافية للمنطقة، فهي عادة مصنوعة من مواد خشبية، وتُزيّن أحيانًا بزخارف هندسية بسيطة تعكس الطابع المحلي للعمارة.

5-4- الوظائف الاجتماعية للفضاءات المعمارية في المترل: تلعب الفضاءات المعمارية في قصر واكدة دورًا محوريًا في تنظيم العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وبين أفراد المجتمع المحلي. فقد جاء توزيع الفضاءات الداخلية للمترل منسجمًا مع العادات والتقاليد السائدة في البيئة الصحراوية، حيث يُراعى فيه التدرج في الخصوصية، بما يعكس البنية الاجتماعية والاحتياجات اليومية للعائلة. فغالبًا ما تُخصص الفضاءات القريبة من المدخل للاستقبال والمعاملات الاجتماعية، في حين تُوجه الفضاءات الداخلية للاستخدام العائلي والأنشطة اليومية ذات الطابع الخاص، فنجد:

- وسط الدار (الفناء) :يُعرف الفناء محليًا باسم "الحوش" أو "وسط الدار"، ويُعتبر عنصرًا معماريًا أساسيًا في البيت التقليدي لقصر واكدة. وعادةً ما يأخذ الفناء الشكل الهندسي للمترل، وتتحدد أبعاده بناءً على سعة المساحة. يحيط الفناء بمجموعة من الغرف المفتوحة عليه، وبفضل انفتاحه على السماء، يزود الفناء الغرف المحيطة به بالضوء الطبيعي، مما يقلل من الحاجة إلى الإضاءة الاصطناعية (امينة، 2015، صفحة 145).

- غرف الضيافة :تُشكّل هذه الغرف أحد العناصر المحورية في البيت الصحراوي، إذ تُخصص لاستقبال الضيوف من الأقارب أو الجيران، وتُستخدم كذلك في المناسبات والاحتفالات العائلية والدينية. وتتميز باتساعها مقارنة بباقي الغرف، مع مراعاة عنصر الخصوصية والكرم في التصميم.

– غرف النوم العائلية :تُخصّص هذه الغرف لأفراد العائلة حسب الحاجة والمكانة داخل الأسرة، وقد تُستخدم بشكل مرن حسب تغير ظروف الإقامة داخل المترل. وغالبًا ما تتوزع هذه الغرف حول الفناء الداخلي لضمان التهوية والعزلة الحرارية.

– الأسطح والمساحات متعددة الاستخدامات :تلعب الأسطح دورًا وظيفيًا مهمًا في الحياة اليومية، إذ تُستخدم لتجفيف المنتجات الفلاحية أو الغسيل، وأحيانًا للنوم في الليالي الصيفية الحارة. ويُعد هذا الاستغلال متعدد الأغراض انعكاسًا لوعي السكان بأهمية التكيّف مع الموارد المحدودة وخصوصية المناخ الصحراوي.

هذا التوزيع الفضائي يعكس مدى اندماج العمارة التقليدية مع أنماط العيش الصحراوي، من خلال الحفاظ على الخصوصية، وتوفير الراحة، وتلبية الاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للأسرة الممتدة.

1– مواد و تقنيات البناء: حرصا منا على إظهار مكونات العمارة المحلية بقصر واكدة سواء تعلق الامر بالجانب الشكلي أو الهيكلي، فمن الأهمية التطرق الى هذا الجانب المهم من البناية الطينة أين سيتم تسليط الضوء على المادة الأساسية من مواد البناء بذكر مختلف استعمالاتها بالإضافة الى التقنيات المرتبطة بها.

– **مواد البناء:** تم تصنيف مواد البناء المحلية المستخدمة في بناء المساكن في قصر واكدة إلى ثلاث فئات رئيسية:

✓ **المواد النباتية:**

– **الخشب:** يستخدم الخشب المستخرج من النخيل والأشجار المثمرة مثل الزيتون في بناء الأسقف، الأبواب، النوافذ، والدعائم. يتسم خشب النخيل بقدرته العالية على التحمل، مقاومته للتسوس والتصدع، وملاءمته للبناء الطيني.

– **أنواع الخشب:**

جذع النخيل :يُستخدم في الأسقف، الأبواب، والنوافذ بعد معالجته بشكل تقليدي.

جريد النخل :يُستخدم في بناء الأسطح والأثاث.

أخشاب الأشجار المثمرة :مثل الزيتون، تستخدم لصناعة الأبواب والأقفال.

القصب :يُستخدم بشكل أساسي في تسقيف المباني.

القش :يُستخدم في تصنيع الطوب وأسطح المباني لتقوية التماسك والمقاومة لعوامل التعرية.

الدفلى :يُستخدم في تسقيف البيوت المخصصة للصلاة والمباني الفاخرة بسبب متانته.

الحلفاء والرتم :تُستخدم لتقوية الأسطح وحماية المباني من التسربات.

✓ **المواد الترابية الصلبة:**

– **الحجارة** :تُستخدم في بناء الأساسات، الأعمدة، والأسطح لأنها تقاوم الرطوبة وتمنع تآكل المباني.

✓ **المواد الترابية اللينة:**

الجبس :يُستخدم في تزيين الجدران وتغطية الأسطح لقدرته على التحمل في المناخ الصحراوي القاسي.

الجير :يُستخدم في تبييض الجدران والأسطح لحمايتها من تسرب المياه.

الرماد :يُضاف إلى الجبس لتحسين العزل الحراري في الجدران.

الطين :يُستخدم بشكل رئيسي في البناء كمادة أساسية لصناعة الطوب وجدران البناء.

الملاط الطيني :يُستخدم في ربط الحجارة والطوب وتغطية الجدران للحصول على سطح ناعم يحمي من الرطوبة.

الرمل :يُستخدم في بناء الأسطح وتكسية الجدران.

✓ **مواد أخرى:**

- **الماء** :يُعتبر من العناصر الأساسية في جميع مراحل البناء.
- **الحديد** :يُستخدم في تصنيع لواحق الأبواب، النوافذ والأثاث المعدني، ويعتمد عليه الحداد التقليدي في صنع الأقفال والمسامير.

الاستفادة من هذه المواد المحلية يعكس تكامل الإنسان مع البيئة الصحراوية في بناء مساكن قصر واكدة، حيث توفر هذه المواد المتوفرة في المنطقة وظائف عملية وجمالية تتناسب مع احتياجات المجتمع المحلي.

6.1- أساليب وتقنيات المعمارية للبناء: تعد أساليب البناء التقليدية في قصر واكدة نتاجًا لعدة تقنيات متطورة تلائم البيئة الصحراوية، حيث تشمل عملية البناء اختيار الموقع، الأساسات، الجدران، الأعمدة، الأسطح، السلالم، الأبواب، والنوافذ.

●**اختيار الموقع:** يتم اختيار موقع القصر بعناية لضمان الحماية ومراقبة الطرق التجارية، مع مراعاة قربه من مصادر المياه والموقع الجغرافي المرتفع لحماية سكانه من الفيضانات.

●**تقنيات بناء الأساسات:** تستخدم الأساسات لضمان استقرار البناء على الأرض الصلبة. تُبنى الأساسات باستخدام الأحجار والملاط الجير، و هذا لتفادي انهيارها بسبب خاصية المرونة التي يتميز بها القالب الطيني، وعدم مقاومته للماء و الرطوبة التي عادة ما تأتي من الأرض بفعل خاصية الشعرية أو بفعل مرور السيول الموسمية و التي قد تصيب الجزء السفلي من الجدران ((OPVM)، 2015، صفحة 18).

●**تقنيات بناء الجدران:** الجدران تبنى باستخدام طريقتين رئيسيتين: طريقة أدية وشناوي (ينظر الصورة رقم 02)، وطريقة المداميك (الرباط المستمر). تعتمد هذه الطرق على الربط المتين بين اللبنات الطينية.

●**تقنيات بناء الأعمدة والدعامات:** الأعمدة مربعة الشكل تتراوح أطوالها بين 55-75 سم وتدعم السقف والمبنى بشكل عام. الدعامات تُستخدم لدعم السقف وتوزيع الأحمال. (ينظر الصورة رقم 03)

●**تقنية تغطية البناء (السقف):** السقف يكون مسطحًا بشكل عام، ويُبنى باستخدام مواد محلية مثل جذوع النخيل المكون للعناصر الحاملة "العوارض" والجريد. بعد تركيب الجذوع، يُغطى السقف بطبقة من التراب لتحديد مستوى ميلان السقف والملاط الجير كطبقة من السماكة التقليدية لحمايته من التقلبات المناخية ((OPVM)، 2015، صفحة 20). (ينظر الصورة رقم 04)

●**تقنيات بناء السلالم:** تُبنى السلالم باستخدام جذوع النخيل وتوضع بشكل مستطيل ومتوازي لتشكيل درجات السلم، مما يوفر طريقة فعالة للوصول إلى الطبقات العليا من المبنى.

●**تركيب الأبواب والنوافذ:** الأبواب والنوافذ في المباني التقليدية صغيرة الحجم، وتُصنع عادة من خشب النخيل. النوافذ على المستويات الأرضية غالبًا ما تكون صغيرة وموجهة نحو الفناء الداخلي لضمان الخصوصية.

●**الكوات:** الكوات تعتبر من العناصر المعمارية البارزة في القصر، حيث تُستخدم لتخزين الكتب وأغراض أخرى. تتنوع أشكال الكوات من مثلثية إلى مربعة ومستطيلة.

إن مواد و تقنيات البناء تُبرز بشكل جيد كيفية تكيف العمارة الصحراوية مع الظروف البيئية والاجتماعية المحلية في قصر واكدة. يشمل أيضًا الممارسات التقليدية التي تضمن استدامة وفعالية البناء في مواجهة تحديات البيئة الصحراوية القاسية.

2- تحليل النموذجين السكنيين:

1.7- نموذج منزل أولاد الغازي (ينظر المخططات "أ"):

يتكوّن منزل أولاد الغازي من ثلاثة طوابق: طابق أرضي وطابقين علويين. يحتوي الطابق الأرضي على فناء مركزي تحيط به مجموعة من الغرف تختلف في الشكل، الحجم، والمساحة، كما تختلف من حيث الوظيفة. فبعض الغرف خُصّصت لتخزين المؤن مثل الزرع والبشنة، وتحتوي إحداها على ثلاث خابيات مصنوعة من الطين، تُستخدم لحفظ التمور طوال السنة. كما تمتاز غرف هذا الطابق بغياب الإنارة الطبيعية، مما يجعلها بيئة مناسبة لحفظ الطعام وصونه لفترات طويلة.

أما الفناء الداخلي في المنزل، فيأتي على شكل فضاء شبه مغطى يرتكز على أربع دعامات مربعة الشكل ومتوازية، ويحتوي على فتحة مربعة تُعرف محليًا بـــ"عين الدار" خُصّصت للإضاءة والتهوية. كما نُلاحظ وجود كوتين جداريتين تطلان على الفناء، كانتا تُستعملان لوضع الشموع خصوصًا خلال الليل. ويؤدي درج داخلي مكوّن من 9 إلى 10 درجات إلى الطابق الأول الذي يضم ثلاثة منافذ، إضافة إلى حجرات نوم، مطبخ، غرف استقبال وضيافة، فضلاً عن غرفة صغيرة استُخدمت خلال الحقبة الاستعمارية لإخفاء المجاهدين.

أما السلم المؤدي إلى الطابق العلوي (الثاني) فيتكوّن من 8 إلى 9 درجات. وعند بلوغ هذا الطابق، نلاحظ أن السطح يتخذ شكل مساحة فسيحة نسبياً، تُستغل للنوم ليلًا خلال فصل الصيف، ولتجفيف الملابس والحبوب نهاراً. يحيط بهذا السطح عدد من الغرف الصغيرة، غير أنّ هذا الجزء من المنزل قد تعرّض لأضرار بفعل عوامل التلف والزمن، مما أدى إلى انهيار جزء منه.

2.7- نموذج منزل أولاد مامون (ينظر مخطط "ب"):

يقع منزل أولاد مامون في الجهة الجنوبية للقصر، ويتميز بواجهتين: واحدة تمتد على طول حوالي 18 مترًا وتطل على ممر يؤدي إلى واحة النخيل التابعة للقصر. يختلف هذا المسكن عن منزل أولاد الغازي في التصميم المعماري؛ فهو يتكون من طابق أرضي فقط.

الواجهات في منزل أولاد مامون صماء تمامًا، خالية من فتحات التهوية والزخارف. يحتوي المنزل على مدخلين مسطحين: الأول يفتح على الشارع الرئيسي، بينما الثاني يفتح على ممر فرعي يؤدي مباشرة إلى واحة النخيل. كلا المدخلين يؤديان إلى حوش المسكن، حيث يتواجد فيه غرفتان للضيوف؛ واحدة مخصصة للرجال والأخرى للنساء.

يتوسط المنزل السقيفة التي تفضي إلى وسط الدار، حيث تتوزع حوله خمسة غرف ذات شكل مستطيل، بجانب غرفة مربعة الشكل تم تخصيصها للطبخ. تحتوي هذه الغرفة على سلالم صغيرة تستخدمها النساء للوصول إلى السطح،

الذي يحتوي على فتحة صغيرة تطل على الإسطبل الداخلي للمنزل في الجهة المجاورة، حيث يُخصص هذا الإسطبل لأنواع الطيور والأرانب. كما يوجد إسطبل خارجي في الجهة المقابلة للمنزل لتفادي الروائح والأصوات الناتجة عن الحيوانات.

إلى جانب ذلك، يوجد في المنزل مخزن مستطيل الشكل يؤدي إلى غرفة أخرى تستخدم كمخزن ثانوي. وبالنسبة لتوزيع الغرف، فإن عرض الغرف يُحدد عادةً بعرض العوارض الخشبية التي تشكل السقف، ولا يتجاوز عرض الغرف في أغلب الأحيان ثلاثة أمتار، أما بالنسبة لمقاسات مداخل الغرف، فتتراوح بين 1.00-0.80 متر عرضًا و -1.70 1.90متر ارتفاعًا.

3- التحليل المقارن بين النموذجين السكنيين: منزل "أولاد الغازي" ومنزل "أولاد المامون":

تُعد المساكن التقليدية في قصر واكدة ببشار نموذجًا معماريًا يعكس التفاعل العميق بين البيئة الصحراوية واحتياجات المجتمع المحلي، من خلال تقنيات البناء المتوارثة والتخطيط الوظيفي الذي يخدم متطلبات الحياة اليومية. يتيح لنا تحليل منزل "أولاد الغازي" ومنزل "أولاد المامون" الوقوف على أوجه التشابه والاختلاف في الخصائص المعمارية والاجتماعية، من خلال خمسة محاور رئيسية: مواد وتقنيات البناء، التخطيط المعماري، الوظيفة، التكيف مع البيئة الصحراوية، والخصائص الاجتماعية.

3.1- أوجه التشابه:

- **مواد وتقنيات البناء:** يعتمد النموذجان على نفس المواد المحلية المتوفرة، إذ تُستعمل الحجارة الكبيرة والملاط الجير في الأساسات، ما يمنح المبنى متانة وثباتًا أمام العوامل المناخية. كما تُستخدم تقنيات تقليدية مثل "الأدية والشناوي" في بناء الجدران من الطوب، مما يعزز تماسكها.

فيما يخص الأسقف، نجد استعمالًا مشتركًا لجذوع النخيل والجريد المغطاة بطبقات من الطين والملاط، ما يوفر عزلًا حراريًا فعّالًا. وتُراعي الفتحات مثل الأبواب والنوافذ مبادئ الخصوصية والتهوية، حيث تكون صغيرة الحجم وموجهة نحو الفناء الداخلي، مما يقلل من التعرّض لأشعة الشمس المباشرة ويحافظ على درجة حرارة معتدلة داخل الفضاءات.

- **التخطيط المعماري:** يتميّز منزل "أولاد الغازي" بتخطيط أكثر تنظيمًا وتعقيدًا، حيث تُوزّع الفضاءات وفق ترتيب وظيفي واضح، يراعي التسلسل من العام إلى الخاص، مع فناء مركزي يربط بين مختلف الغرف. أما منزل "أولاد المامون"، فرغم اشتراكه في فكرة الفناء الداخلي، إلا أن تخطيطه يميل إلى البساطة والمرونة، ما يعكس خصوصية التنظيم الأسري وتكيفه مع ظروف الاستخدام.

كلا النموذجين يُراعيان تقاليد العيش المشترك والحفاظ على خصوصية العائلة، من خلال توزيع الغرف حول الفناء وتوجيه الفتحات داخليًا.

- **الوظيفة:** تتنوع الوظائف داخل كلا المنزلين، حيث تُخصّص الفضاءات وفقًا لحاجات أفراد الأسرة والأنشطة اليومية. في منزل "أولاد الغازي"، نلاحظ حضور فضاءات خاصة باستقبال الضيوف، وتخزين المؤونة، بالإضافة إلى أماكن مخصصة للاستخدام النسوي، مثل الكوات التي تُستخدم لحفظ الزينة أو الأدوات المنزلية.

من جهته، يتسم منزل "أولاد المامون" بوظائف مشابهة، غير أن توزيعها قد يكون أقل تعقيداً أو أكثر مرونة، تبعًا لحجم الأسرة أو التغيرات في استعمال الفضاءات بمرور الوقت.

●**التكيف مع البيئة الصحراوية:** يعكس كلا المنزلين وعيًا معماريًا بالتحديات المناخية الصحراوية، من حرارة شديدة نهارًا وبرودة ليلية. فالسماكة الكبيرة للجدران، واستخدام المواد العازلة، والتوجيه الداخلي للفراغات، عناصر تُسهم جميعها في ضبط درجة الحرارة داخل المنزل.

كما أن موقع منزل "أولاد الغازي" على مرتفع طبوغرافي يحميه من أخطار السيول ويمنحه إشرافًا بصريًا على المحيط، في حين يُظهر موقع منزل "أولاد المامون" قربه من الأراضي الزراعية وتجمعات المياه، مما يُشير إلى علاقة وظيفية مباشرة مع النشاط الفلاحي.

●**الخصائص الاجتماعية:** تُجسّد العمارة السكنية في كلا المنزلين البُعد الاجتماعي للعيش الجماعي في القصر. ففي منزل "أولاد الغازي"، تُشير التفاصيل المعمارية إلى انتماء اجتماعي متوسط إلى مرتفع، من خلال تخصيص فضاءات للضيافة وتنظيم داخلي يُراعي الخصوصية والتراتبية الاجتماعية.

أما منزل "أولاد المامون"، فيعكس بدوره القيم المجتمعية ذاتها، وإن اتّسم ببعض البساطة في توزيع الوظائف والفضاءات، ما يدل على مرونة أكبر في استيعاب التغيرات الحياتية وظروف العائلة.

2.8- الاختلافات الرئيسية بين النموذجين:

- **عدد الطوابق** :منزل أولاد الغازي يحتوي على ثلاثة طوابق، بينما منزل أولاد مامون يحتوي على طابق أرضي فقط.
- **الوظائف المختلفة** :في منزل أولاد الغازي، هناك تخصيص أكبر للمساحات التي تدعم احتياجات متعددة، مثل تخزين المؤن، و إخفاء المجاهدين .في حين أن منزل أولاد مامون يركز بشكل أكبر على الخصوصية والضيافة.

الواجهات :منزل أولاد الغازي يحتوي على فتحات للإضاءة الطبيعية، بينما منزل أولاد مامون يركز على الواجهات الصماء التي تحمي المنزل من العوامل المناخية.

يُبرز هذا التحليل المقارن كيف تنعكس العوامل البيئية والاجتماعية في التكوين المعماري للمساكن التقليدية بقصر واكدة. فعلى الرغم من تشابه المواد والتقنيات المستخدمة في كلا النموذجين، فإن الفوارق تكمن في التوظيف الداخلي للفضاءات وفي التفاصيل التي تُعبّر عن مكانة الأسرة داخل النسيج الاجتماعي للقصر.

وبذلك، تتجلى قيمة العمارة التقليدية بوصفها سجلًا حيًا يحمل في طياته أبعادًا ثقافية وبيئية عميقة.

تُظهر دراسة النموذجين السكنيين، دار أولاد الغازية ودار أولاد متكون، أن المساكن التقليدية في قصر واكدة لا يمكن اختزالها في بعدها المعماري فحسب، بل تمثل منظومة معيشية متكاملة تعكس مبادئ ضمنية للاستدامة البيئية والاجتماعية(ICOMOS, 2011) .

فمن الناحية البيئية، يعتمد كلا النموذجين على مواد بناء محلية مثل الطين والحجر، مما يقلل من البصمة الكربونية ويعزز التكيف الحراري الطبيعي، وهو ما ينسجم مع مبادئ العمارة المستدامة القائمة على كفاءة الطاقة واستغلال الموارد المحلية .أما على المستوى الاجتماعي، فإن تنظيم الفضاءات الداخلية في النموذجين يعكس بنية اجتماعية قائمة على الخصوصية والتضامن الأسري، حيث تتوزع الوظائف بين فضاءات استقبال، ومعيشة، وأنشطة يومية بطريقة تدعم

التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة الموسعة. هذا التنظيم يبرز البعد الاجتماعي للاستدامة من خلال الحفاظ على أنماط العيش التقليدية وتعزيز التماسك المجتمعي (Gandreau, 2012) .

ومن منظور التنمية الثقافية، فإن كلا النموذجين يشكلان حاملاً للذاكرة الجماعية والهوية المحلية، مما يجعل الحفاظ عليهما وإعادة توظيفهما جزءًا من استراتيجيات التنمية المستدامة القائمة على تثمين التراث غير المادي والمادي في آن واحد. كما أن إمكانية إدماجهما في مشاريع السياحة الثقافية أو إعادة التأهيل التكيفي يفتح آفاقًا اقتصادية جديدة دون المساس بقيمهما الأصيلة(Amos, 1969) .

وبناءًا على ماسبق، فإن تحليل هذين النموذجين يبرز أن المساكن التقليدية بقصر واكدة تتضمن في بنيتها الداخلية مقومات استدامة بيئية واجتماعية وثقافية، يمكن استثمارها ضمن مقاربة تنموية شاملة تقوم على الحفاظ وإعادة التوظيف بدل الإهمال أو الإندثار، وفي الوقت ذاته دعم التنمية المحلية وتعزيز الجاذبية الثقافية للمنطقة.

4- النتائج ومناقشتها:

تكشف هذه الدراسة المعمارية التحليلية، من خلال المقارنة بين منزل أولاد الغازي ومنزل أولاد مامون بقصر واكدة، عن منظومة معمارية متكاملة تعكس تفاعلًا ديناميكيًا بين البعد البيئي والاجتماعي والثقافي. وتُظهر النتائج أن هذه المساكن لا تمثل مجرد وحدات سكنية، بل أنظمة معيشية مركبة تستند إلى معارف محلية متوارثة، وهو ما ينسجم مع ما طرحه Paul Oliverحول كون العمارة التقليدية تعبيرًا عن التكيّف الثقافي مع البيئة.

•تكامل العمارة مع البيئة الصحراوية:

أثبتت الدراسة أن العمارة التقليدية بقصر واكدة تعتمد على استراتيجيات بيئية فعالة، من خلال توظيف مواد محلية مثل الطين والحجر والنخيل، بما يحقق توازنًا حراريًا طبيعيًا. وتُبرز هذه النتيجة إمكانات استلهام هذه الحلول ضمن توجهات العمارة المستدامة المعاصرة، بما يتوافق مع الدعوات الدولية لدمج المعارف التقليدية في التصميم البيئي.

•الوظيفة المتعددة للمسكن:

يتجاوز المسكن الصحراوي وظيفته السكنية ليشمل أبعادًا اجتماعية واقتصادية، وهو ما يعكس طبيعة التنظيم المجتمعي المحلي. غير أن إعادة توظيف هذه الفضاءات في السياق المعاصر يطرح تساؤلات حول كيفية الحفاظ على دلالاتها الأصلية دون تفريغها من محتواها الثقافي، خاصة في ظل تنامي التوجه نحو الاستثمار السياحي.

•الاستجابة الاجتماعية عبر التوزيع الفراغي:

يعكس التنظيم الداخلي للمساكن بنية اجتماعية قائمة على الخصوصية والتراتبية، وهو ما يمنح هذه الفضاءات قيمة ثقافية غير مادية. وفي هذا السياق، تشير Emma Waterton و Laurajane Smith إلى أن الاعتراف بالتراث المجتمعي لا يتم بشكل محايد، بل يخضع لآليات انتقائية قد تؤدي إلى ''سوء الاعتراف''، حيث يتم تهميش بعض القيم والممارسات المحلية لصالح تصورات رسمية للتراث، وهو ما يحدّ من فعالية المقاربات التشاركية في إدارة التراث (Laurajane Smith, 2010).

•المرونة في التشكيل المعماري:

يبرز التباين بين الامتداد العمودي والأفقي في المسكنين قدرة النموذج التقليدي على التكيف مع التحولات الاجتماعية والاقتصادية، وهو ما يفتح المجال أمام مقاربات إعادة التأهيل التكيفي. غير أن نجاح هذه المقاربات يظل مرتبطًا بمدى احترام الخصوصيات المعمارية وعدم فرض نماذج خارجية.

•البعد الجمالي والرمزي:

تحمل العناصر الزخرفية دلالات رمزية وثقافية تعكس هوية المجتمع المحلي، مما يمنح هذه المساكن قيمة تتجاوز الجانب الوظيفي. ويؤكد ذلك أهمية إدماج هذه القيم ضمن استراتيجيات السياحة الثقافية دون تحويلها إلى مجرد عناصر عرضية منفصلة عن سياقها.

•نموذج للعمارة المستدامة:

تمثل هذه المساكن نماذج مبكرة للعمارة المستدامة، من حيث الاقتصاد في الموارد والتكيّف مع البيئة. غير أن توظيفها كنموذج مرجعي في السياسات المعاصرة يستدعي إعادة قراءة هذه التجارب ضمن مقاربة نقدية تأخذ بعين الاعتبار الفوارق بين السياقات التقليدية والحديثة.

5- الخاتمة:

تُبرز نتائج هذه الدراسة أن العمارة التقليدية بقصر واكدة لا تمثل مجرد موروث عمراني مادي، بل تشكّل منظومة متكاملة تعكس تفاعلًا عميقًا بين الإنسان وبيئته الطبيعية والاجتماعية. فقد أظهرت النماذج المدروسة قدرة هذا النمط المعماري على تحقيق توازن دقيق بين الوظيفة والبيئة والخصوصية الثقافية، من خلال توظيف مواد محلية وتقنيات بنائية متوارثة تستجيب لخصوصيات المناخ الصحراوي وأنماط العيش المحلية.

غير أن هذا التراث، رغم ما يحمله من قيم معمارية وبيئية واجتماعية، يواجه تحديات متزايدة تهدد استمراريته، سواء نتيجة التدهور الفيزيائي، أو التحولات الاجتماعية، أو ضعف إدماجه ضمن السياسات التنموية. وفي هذا السياق، تبرز الحاجة إلى تجاوز المقاربات التقليدية التي تقتصر على الحفظ المادي، نحو مقاربة شمولية تُعيد تفعيل هذا التراث ضمن استراتيجية التنمية المستدامة. ويتقاطع هذا التوجه مع ما تؤكد عليه منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو) والمجلس الدولي للمعالم والمواقع (إيكوموس) بضرورة إدماج التراث في الحياة المعاصرة، دون الإخلال بقيمه الأصيلة.

وعليه، فإن قصر واكدة لا ينبغي النظر إليه كفضاء تراثي جامد، بل كرصيد ثقافي قابل للتثمين، شريطة اعتماد مقاربات متوازنة تراعي خصوصياته المحلية، وتُشرك الفاعلين المحليين في مسارات الحفظ والتأهيل، بما يضمن استدامته واستمرارية وظيفته الثقافية والاجتماعية.

في ضوء النتائج المتوصل إليها، يمكن اقتراح مجموعة من التوصيات العملية ذات البعد الاستراتيجي:

- ✓ **اعتماد مقاربة تشاركية في إدارة التراث:** إشراك السكان المحليين في عمليات الترميم واتخاذ القرار، باعتبارهم حَمَلة الذاكرة التراثية، بما يعزز الشعور بالانتماء ويحدّ من ظاهرة تهميش الفاعلين المحليين.
- ✓ **إدماج قصر واكدة ضمن استراتيجيات التنمية المحلية:** تثمين القصر كمنتج ثقافي وسياحي، من خلال تطوير مسارات سياحية ثقافية، وربطه بالاقتصاد المحلي (الصناعات التقليدية، الإقامة التراثية).

✓ **تشجيع إعادة التأهيل التكيفي**: إعادة توظيف المساكن التقليدية بما يتلاءم مع الاستخدامات المعاصرة (فضاءات ثقافية، دور ضيافة، متاحف محلية)، مع الحفاظ على أصالتها المعمارية.

✓ **تطوير برامج التوثيق الرقمي**: اعتماد تقنيات التوثيق الرقمي (المسح ثلاثي الأبعاد، قواعد البيانات) لحفظ المعطيات المعمارية، وضمان استمراريتها في حال التدهور.

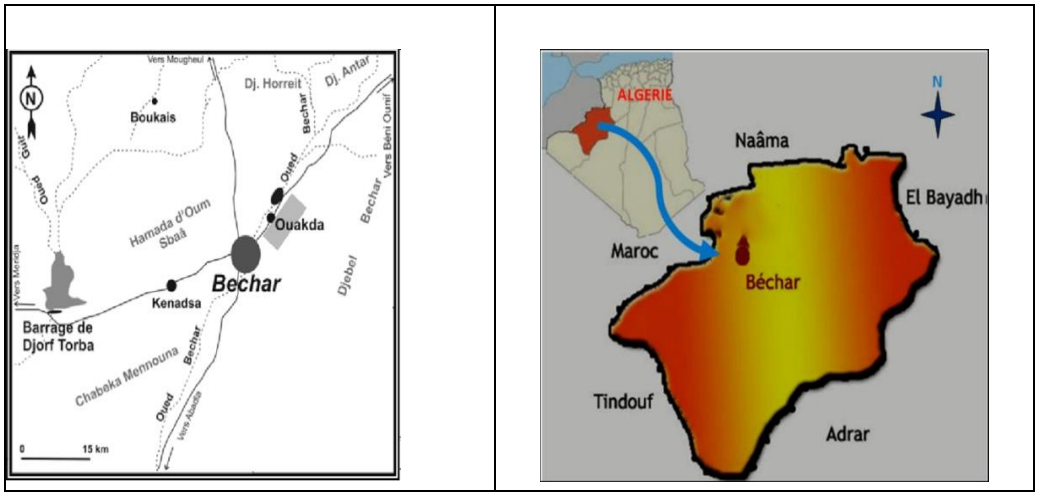
✓ **دعم البحث العلمي متعدد التخصصات**: تشجيع الدراسات التي تجمع بين العمارة، الأنثروبولوجيا، والبيئة، لفهم أعمق للقصور الصحراوية وتطوير مقاربات تدخل أكثر فعالية.

✓ **وضع إطار قانوني ومؤسساتي للحماية**: تعزيز آليات الحماية القانونية للقصور الصحراوية، وإدراجها ضمن برامج وطنية لصون التراث، بما يضمن استدامتها على المدى الطويل.

✓ **استلهام العمارة التقليدية في المشاريع المعاصرة**: توظيف المبادئ البيئية للعمارة الطينية في التصميم المعماري الحديث، بما ينسجم مع توجهات البناء المستدام.

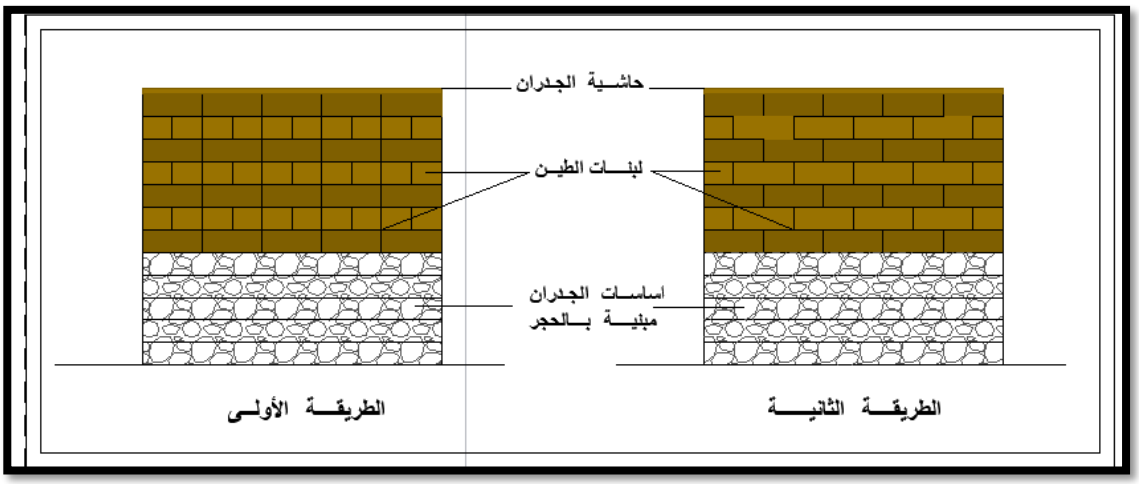
الملاحق :

الصورة رقم 01: لموقع واكدة بولاية بشار:



المصدر: (نقلا عن موقع **google image.com**)

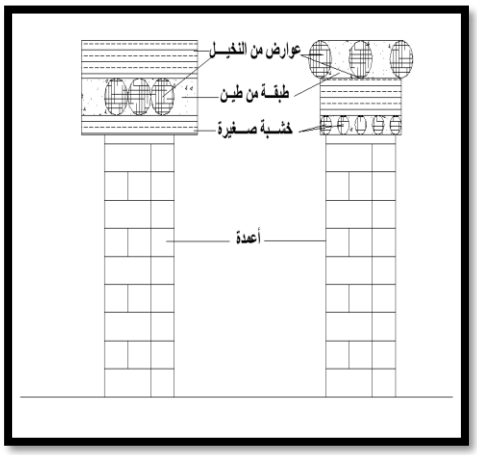
الشكل رقم 02: تظهر تقنيات بناء الجدران بمنازل قصر واكدة.



المصدر: (من رسم الطالبة)

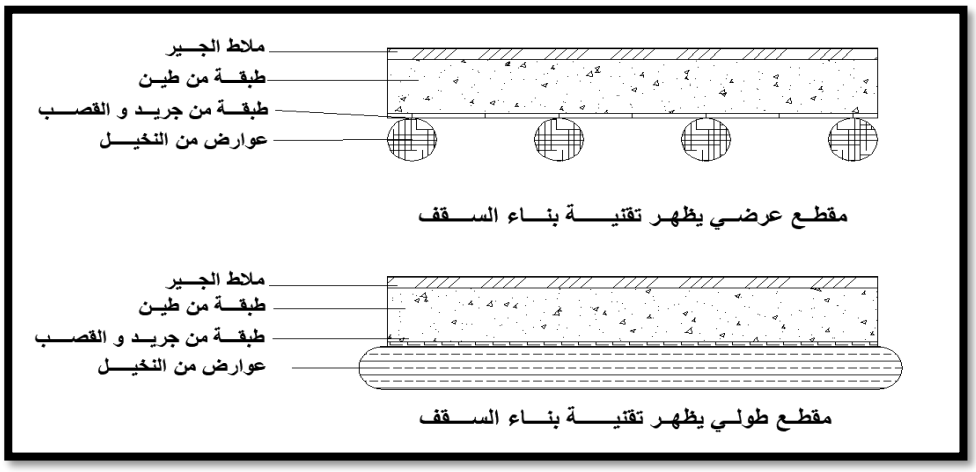
صور رقم 03: توضح تقنيات بناء الأعمدة والدعامات



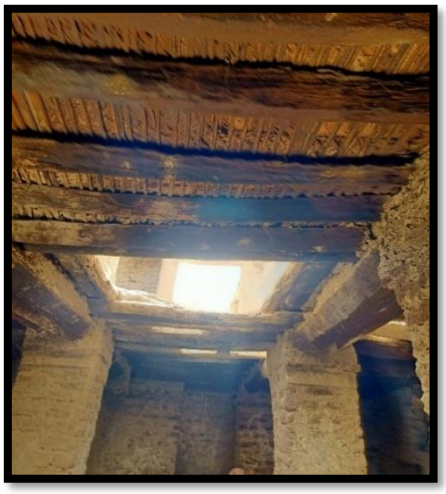


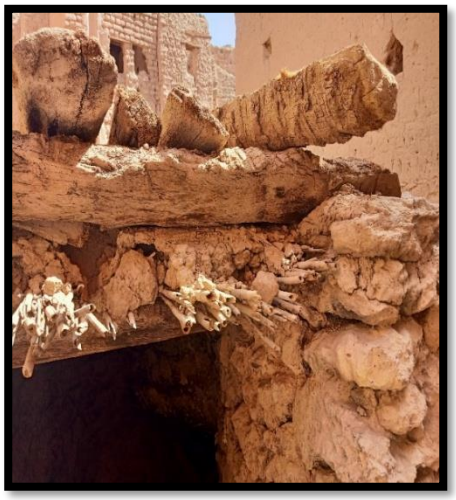
المصدر: (من تصوير و رسم الطالبة)

شكل رقم 04: توضح تقنية بناء السقف / المصدر: (من رسم الطالبة)



صور رقم 04: توثق تقنية بناء السقف





المصدر: (من تصوير الطالبة)

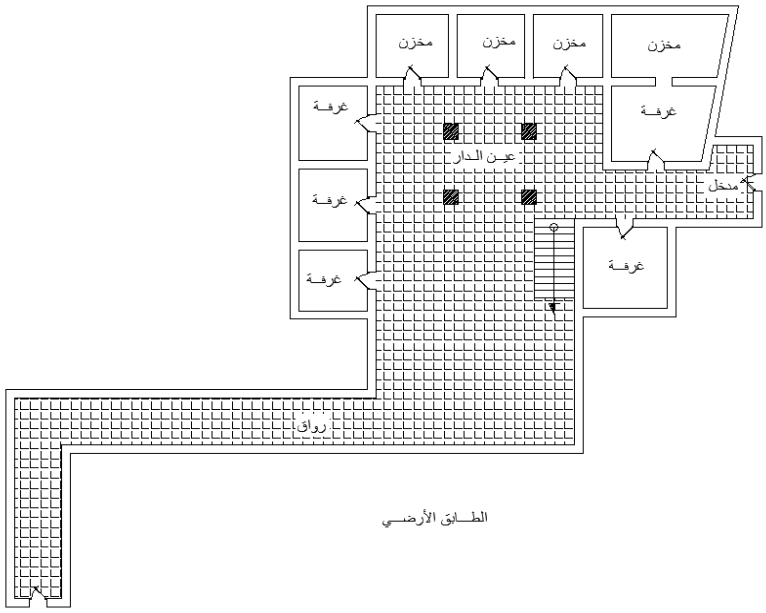
جدول رقم **01** يلخص أوجه التشابه و الاختلاف بين النموذجين:

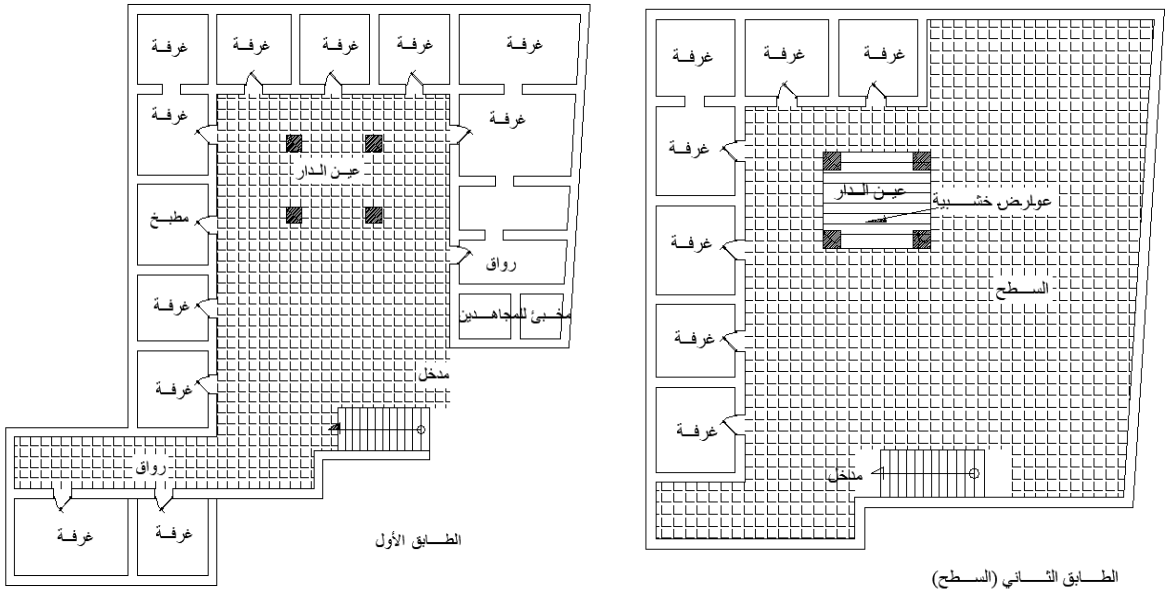
المعيار	منزل أولاد الغازي	منزل أولاد مامون
عدد الطوابق	ثلاث طوابق (أرضي + أول + علوي)	طابق أرضي واحد فقط
التخطيط العام	تخطيط عمودي (وظائف موزعة على عدة مستويات)	تخطيط أفقي (كل الوظائف على نفس المستوى)
الفناء (وسط الدار)	مغطى جزئيًا، مزود بـ"عين الدار" للإضاءة والتهوية	مفتوح، يُشكل محور توزيع الغرف
الوظائف الموزعة	تخزين، استقبال، نوم، فضاءات مخصصة للمجاهدين	استقبال (رجال/نساء)، نوم، مطبخ، تخزين، فضاء لتربية الحيوانات
المدخل والمنافذ	مدخل واحد داخلي يؤدي إلى الفناء، مع سلالم للطوابق العلوية	مدخلان (رئيسي وفرعي)، كلاهما يفتحان مباشرة على الفناء
الخصوصية	عالية نسبيًا بسبب تنوع الطوابق وفصل الوظائف	خصوصية جيدة من خلال فصل غرف الضيوف ومداخل متعددة
الارتباط بالنسيج العمراني	مدمج ضمن الكتلة العمرانية الداخلية للقصر	موقعه في الجهة الجنوبية ويطل على ممر يؤدي إلى الواحة
المواد المستعملة	الطين، الخشب، الجذوع، والأقبية المحلية (خابيات)	الطين، الخشب، عوارض سقفية، مع فناءات مخصصة للماشية
الاستخدامات الإضافية	إيواء المجاهدين في فترة الاستعمار	تخصيص فضاءات لتربية الحيوانات داخل وخارج البيت
الحالة الحالية	تعرض الطابق العلوي لتدهور جزئي بفعل العوامل الطبيعية	يحتفظ بهيكله بشكل جيد نسبيًا، مع تدهور في بعض المرافق

المصدر: (من إعداد الطالبة)

مخطط "أ" يظهر منزل أولاد الغازي:

مخططات منزل أولاد الغازي (الطابق الأرضي + طابق الأول و الثاني)





المصدر: (من رسم الطالبة)

صور منزل أولاد الغازي	
مدخل منزل أولاد الغـــازي	غرف بالمنزل
	
مطبخ المنزل	مكان تخزين المونة و الاعلاف
	

سطح منزل أولاد الغازي	وضح فناء الطابق الأرضي بدار

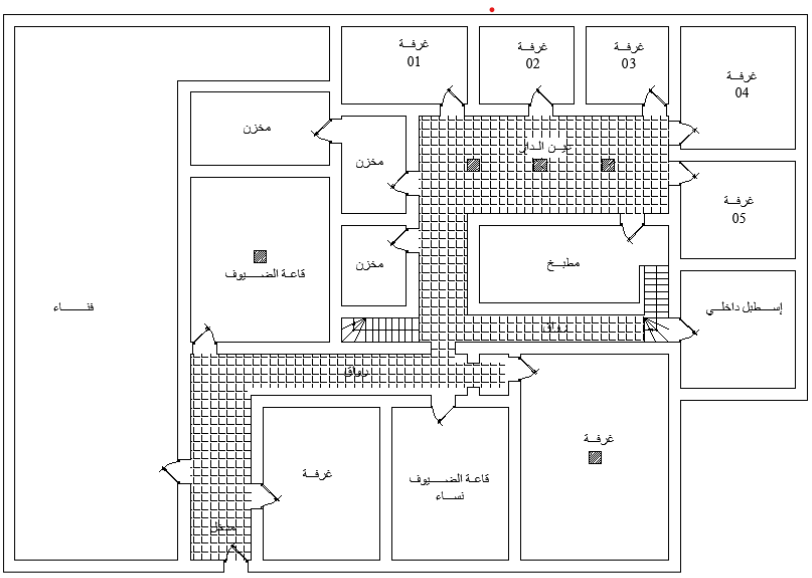




المصدر: (من تصوير الطالبة)

مخطط "ب"يظهر منزل أولاد مامون:

مخطط منزل أولاد مامــون (الطابق الأرضي فقط)



الطــابق الارضــي لمــنزل أولاد مامون

المصدر: (من رسم الطالبة)

صور منزل أولاد مامون

مدخل منزل أولاد مامون	رواق المنزل المؤدي الى الاصطبل الداخلي	عين الدار (السواري)



غرفة الضيوف بالمنزل



السطـح



السلم المؤدي الى السطح



الأصطبل الداخلي



كوة بالمنزل لوضع الشموع للإنارة الليلية وضح فناء الطابق الأرضي بدار





المصدر: (من تصوير الطالبة)

الهوامش وقائمة المراجع

إجراء معاينات ميدانية ومقابلات:

- ✓ مقابلة مع السيد رئيس مكتب التراث بمديرية الثقافة لولاية بشار بتاريخ 2024/02/21 في حضور زميلي دين بهاء الدين.
- ✓ مقابلة مع السيدة الأمينة العامة لبلدية بشار بتاريخ 2024/04/17 في حضور زميلي دين بهاء الدين والأستاذين سليماني ومرزوقي.
- ✓ شهادة أدلى بها السيد الحاج الطيب (داخل القصر العتيق) بتاريخ 17 أفريل 2024 بحضور الاستاذة بقدور مريم والسيد دين بهاء الدين والاستاذ مرزوقي جلول.
- ✓ مقابلة مع السيد رئيس مكتب الدراسات URBAT لولاية بشار بتاريخ 18 أفريل 2024 في حضور زميلي دين بهاء الدين.
- ✓ مقابلة مع السيد الحاج الطيب و أبناء عمه (داخل القصر العتيق) بتاريخ 23 جانفي 2025 بحضور الاستاذة بقدور مريم والسيد دين بهاء الدين و صاحب مكتب الدراسات مكي و مساعده.

---

[1] بل 170 ميلا إلى الشرق لا إلى الجنوب.

[2] إن القصْرِيْن الوحيدين الباقيين في هذه الواحة هما واكدة و بشار البعيد عنها بستة كيلومترات في جهة الجنوب الغربي.

– المراجع العربية بالأحرف اللاتينية:

A.Gatanei, E. e. (Décembre 1924). *Archives de l'institut Pasteur d'Algérie, Alger, Tome II.* France: Bibliothèque nationale de France/ Source gallica.bnf.fr.

Author .(2023) .*Book title* .Algeria: Publisher.

Claude-Maurice ROBERT 04) .AVRIL, 1936 .(printemps du sud .*journal hebdomadaire d'Afrique du nord illustrée*.04 صفحة ،

Gandreau, D. (2012). *World Heritage: inventory of earthen architecture.* Grenoble: CRATerre-ENSAG.

Hassan, F. (1973). *Architecture for the poor: An experiment in rural Egypt.* Chicago : University of Chicago Press.

ICOMOS .(2011) .*The Paris declaration on heritage as a driver of development* .Paris: ICOMOS.

ICOMOS–IFLA .(2017) .*Principles concerning rural landscapes as heritage* . Sharjha :International Council on Monuments and Sites.

Laurajane Smith, E. W. (2010). The recognition and misrecognition of community heritage. *International Journal of Heritage Studies*, 4-15.

Oliver, P. (2006). *Built to meet needs: Cultural issues in vernacular architecture.* Oxford: Architectural Press is an imprint of Elsevier.

Rapoport Amos .(1969) .*House form and culture* .USA: Englewood Cliffs: Prentice-Hall.

UNESCO .(2003) .*Convention for the safeguarding of the intangible cultural heritage* .UNESCO: UNESCO.

– المراجع باللغة العربية:

أ.هجيرة تمايكشت. (2014). *مميزات العمارة السكنية بالقصور الصحراوية بالجزائر (مساكن قصر تمنطيط نموذجا). مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، العدد 15*، 306-321.

بامون امينة. (2015). آليات الحفاظ على القصور و القصبات الصحراوية و إعادة ادماجها في الواقع المادي. *رسالة لنيل شهادة الدكتوراه تخصص صيانة و ترميم*. الجزائر، الجزائر، الجزائر: جامعة الجزائر 02.

بن عبد الله نور الدين. (2015). دور المناخ في تشكيل عمارة الصحراء (قصور القورارة انموذجا). *مجلة الباحث في العلوم الانسانية و الاجتماعية*، 209-214.

توفيق حمد عبد الجواد. (1969). *تاريخ العمارة*. مصر: المطبعة الفنية الحديثة، دار الكتب المصرية.

حسن بن محمد الوزان. (1983). *وصف افريقيا، الطبعة الثانية*. بيروت: دار الغرب الاسلامي.

ديوان حماية وادي مزاب و ترقيته (OPVM). (2015). *البناية الطينية و صيانتها بوادي مزاب-دليل تطبيقي-*. غرداية: ديوان حماية وادي مزاب و ترقيته (OPVM).